

الحياة الاقتصادية والاجتماعية للكوفة في القرن الأول هجري

الاستاذة: دراجي خيرة

المدرسة العليا للاستاذة بوزريعة

derradji.kh@gmail.com

ملخص المقال :

تم تأسيس الكوفة في السنة 17 هـ، 638 م من طرف سعد بن ابي وقاص لتكون مكان لاستراحة الجنود اثناء الفتوحات الاسلامية بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب، لتتحول فيما بعد الى مدينة وتضم قبائل مختلفة من ازد وتميم و أوس و غيرها وتحتوي كل قبيلة على جميع مرافق الحياة من مساجد وأسواق و مساكن بُنيت بالأجر، رغم ذلك انتشرت بالكوفة أفات اجتماعية كثيرة كشرب الخمر ودور المجون وسب الصحابة.

كما عرفت نشاط اقتصادي واسع كزراعة النخيل التي كانوا يفتخرون بها على البصرة لقربهم من نهر الفرات وأقيمت بها الجسور، و ظهرت بالكوفة دُور لسك النقود ومراقبتها لمكافحة الغش، وتوالى عليها عددٌ من الولاة أرهقوا السكان بالضرائب، قام الخليفة عمر بن عبد العزيز بالعديد من الاصلاحات لكن بعد وفاته عاد الولاة لإرهاق السكان من جديد.

الكلمات المفتاحية: الكوفة، الشيعة، سعد بن ابي وقاص، عمر بن الخطاب، الأجر، الطوب، مساجد، اسواق، قبائل، عمر ابن عبد العزيز، الفرات، الأموي، الزراعة، الصحابة، النيروز، الخراج، الضرائب.

Resumé

La kufa a été fondée lors du 17e année de Hégire, 638 du calendrier grégorien par Saad Ibn Abi elwakaas sous l'ordre de Omar Ibn Elkhatab, pour être un endroit de repos des combattants lors des conquêtes islamiques, par la suite elle est devenue une ville qui englobe différentes tribus comme Azad, Tamim et Awes, chaque tribu contient tous les services vitaux nécessaires tels que les mosquées les marchés et les maisons qui étaient construites en

brique. En outre dans le domaine social, la Kufa a reconnu une propagation des mauvaises attitudes : comme les boissons alcoolisées, les maisons de la prostitution et ils maudissaient les compagnons du prophète.

Sur le plan économique, l'agriculture était répandue surtout la culture de palmiers qui constituée une fierté par rapport aux gens de la Basra, car la Kufa était proche de la rivière de l'Euphrate où ils ont mis en place des ponts, mais aussi il y avait la construction des maisons pour impression de l'argent et de la vérification pour lutter contre la fraude et la contrefaçon.

Plusieurs préfets ont été succédé sur la Kufa, chacun d'entre eux a participé à l'imposition des charges successives et supplémentaires aux habitants malgré les rétablissements d'el Khalifa Omar ibn abdelaziz, mais après son décès, la situation est revenue comme paravent.

في عصر الخليفة عمر ابن الخطاب أخذت حركة الفتوح الاسلامية في اتساع ، وبدأ العرب يخرجون من جزيرتهم لينشروا دين الله في أقطار الارض ووضعت اللبنة الاولى للأمصار الاسلامية فجاء تأسيس الكوفة التي تعتبر من أهم المراكز المذهبية التي احتوت المذهب الشيعي (1) كونه نشأ وترعرع فيها ، فقد انتقل إليها علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان ومبايعته (2) واتخذها مركزاً له ، ومن هنا أصبحت مقصداً للمتشييعين المناصرين لآل البيت. من خلال هذا البحث سنتعرف كيف تأسست الكوفة ؟ وعلى أي أساس تم البناء بها؟ وماهي التغيرات التي طرأت عليها؟

وجّه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب جيشاً بقيادة الصحابي سعد بن أبي وقاص لفتح الفرس ، و بعد النصر الكبير الذي حققه الجيش الإسلامي في معركة القادسية وفتح المدائن (3) طلب أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب من القائد سعد بن أبي وقاص أن يجعل لهذا الجيش دار هجرة وأن لا يكون بينه وبينهم بحراً (4) فتوجه سعد إلى الأنبار (5) ليختارها دار هجرة لهم فكثّر الذباب على الناس ، فتحول إلى موضع آخر لم يصلح ، ثم تحول إلى الكوفة (6) التي اختطها وأنزل القبائل منازلهم وبني مسجدها وذلك نهاية سنة 17 هـ / 638 م. (7)

تقع الكوفة بين الحيرة والفرات برياً وبحرياً بين الجلاء و النصر ، وتم اختيار المكان بدقة كبيرة بحيث يذكر البلاذري أنهم اختاروا موقع يحيط به الماء من كل مكان ، ثم

خرجوا حتى أتوا موضع الكوفة اليوم فانتهوا إلى الظهر ، وكان يُدعى خد العذراء(8) وأرضها مزيّجاً من الحصباء والرمل الأحمر تنبتُ الخزامى والأفحوان والشيخ والقيصوم والشقائق والقصب والحلفاء بفضل مواردهم المائية الطيبة ، هذا ما جعل أهل الكوفة يفتخرون بهذا الموقع و بماءهم الذي هو الفرات على ماء دجلة ، وهو ماء البصرة! فقالوا : ماؤنا أعذبُ المياه وأغذاها ، وهو أصح للأجسام من ماء دجلة ، الفرات أعذب المياه عذوبةً ، وإنما اشتق الفرات لكل ماء عذب من ماء الكوفة .(9)

استأذنوا بعد ذلك أمير المؤمنين عمر في البنيان فأذن لهم بأن يجعلوا بيوتهم من قصب، غير أن حريقاً وقع في القصب الذي بنوا به فستأذنوا مرة ثانية في البنيان باللّين فأذن لهم على أن لا يزيد أحدهم على ثلاثة بيوت وأن لا يتناولوا في البنيان.(10) ، وأول ما اختطوا المسجد ثم القصر ، وجعلوا الأسواق على شكل المسجد ثم وضعوا الصحن(11) وأُحيط هذا الصحن بخندق لكي لا يُقتمح ببنائه ما، و أصبح للكوفة أربعة ثغور هي حلوان ، ماسبدان ، قرقيسيا ، والموصل.(12) وفي سنة خمسين للهجرة بدأ البنيان بالآجر بدل اللّين في ولاية زياد بن أبيه(13) بينما ذكر ياقوت الحموي بأنهم بنوا باللّين في عهد المغيرة بن شعبة (14) وقد قام خالد بن عبد الله بن أسد ابن كرز القسري من بجيلة (15) ببناء حوانيت جعلها من الآجر و الجص.(16)

1- الحياة الاجتماعية :

تحدثنا فيما سبق أن الكوفة تكوّنت من الجيش الذي توجه به الصحابي سعد بن أبي وقاص لفتح الفرس وبعد فتح القادسية والمدائن ، توجه بهذا الجيش إلى الكوفة التي اختط لهم فيها بيوتاً ، فكيف كانت الحياة الاجتماعية في الكوفة ؟ وممن تكون هذا المجتمع الجديد ؟ وهل تمكن هذا المجتمع من التأقلم مع بعضه البعض ؟

بعد ما استكمل الصحابي سعد بن أبي وقاص فتح القادسية ودخل المدائن ، أرسل وفداً إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فلما رآهم وجد تغير ألوانهم وأحوالهم وعلم منهم أن سبب ذلك يعود لتخوم البلاد ، فأمر سعد أن يجعل لهم منازل ينزلونها .كانت هذه الجيوش المقاتلة التي لم تتعود حياة الترف وجمع المال مكونة من عدة قبائل مختلفة وكثيرة كقبيلة أسد منها بنو الحارث بن ثعلبة بن ذودان ، فقد ذكر ابن حزم أنهم شاركوا في وقعة القادسية ، كما ذكر تميم وبني عمرو وبني رياح وبني يربوع(16) ، وكان من اليمن اثني عشر ألفاً منهم الأوس وقبيلة ربيعة ومضر وقيس وغطفان ، ومن نزار ثمانية

آلاف (17) بالإضافة إلى الذين دخلوا في الاسلام بعد الحرب وقدموا معهم للإقامة بالكوفة منهم الفرس الذين سُموا الحمرو و ذكر أنهم الحمراء الذين اسلموا قبل القتال وآخرين بعد القتال وفرضت لهم الفرائض (18) والموالي ، وعليه نخلص أن الكوفة كانت عبارة عن مزيج من القبائل المختلفة الطباع والسلوكيات و العادات والتقاليد ، وهذا يعطينا صورة واضحة للحالة الأولى التي نشأت عليها الكوفة.

ويبدو أنه أثناء اختطاط الكوفة و انشاء المسجد والسوق والصحن ، تم انجاز المنازل حسب القبائل التي كانت متواجدة بالكوفة وهذا لم يكن واضحاً ولم يُشر إليه مباشرة المؤرخين ، لكننا لاحظنا بعض المؤشرات التي توضح ذلك كطريقة بناء المساكن وجعل كل قبيلة في ناحية ، وقد أشار الطبري الى رؤساء أسباع القبائل (19) وهذا يعني أن القبائل كانت مقسمة الى سبعة عشائر في عهد الخليفة عمر بن الخطاب فضمت المجموعة الأولى عشيرة كنانة وخلفائها من بني عمرو بن قيس عيلان، والمجموعة الثانية ضمت قضاة منهم الأزدي، والمجموعة الثالثة بها حمير وهمدان و حلافائها، وضمت المجموعة الرابعة تميم أما المجموعة الخامسة بها أسد و غطفان، وآخر مجموعة بها أزد و وعبد قيس والحمراء ، وسرعان ما تغير هذا النظام بموت الخليفة عثمان وخروج القبائل من الكوفة لمقاتلة الحسين بن علي بقيادة عمر بن سعد (20) مع رؤساء الأرباع (21) فكان عبد الله بن زهير بن سليم على ربع أهل المدينة، وعبد الرحمن بن أبي سبرة على ربع مذحج ، قيس بن الأشعث على ربع كندة وربيعة والحر بن يزيد الرياحي على ربع تميم وهمدان (22) ، وبالتالي كان لكل قبيلة أمير يتولى أمورها. (23)

وذكر ياقوت الحموي بأن سعد بن أبي وقاص اسهم اليمن الجهة الشرقية من المسجد وخطط نزار الجانب الغربي بعد أن أجرى القرعة بينهما ، ثم ذكر قوله بَنَتِ القبائل بِاللَّيْنِ من غير ارتفاع وهذا يعني كل قبيلة بنت لنفسها ، وذكر بعض الخطط فقال : وَخِطَّةُ بني أود من محال الكوفة نسبةً لأود بن سعد ، وَخِطَّةُ بني عبد الله بن دارم ، ولد الدَّمون (24) ، وسميت ديار بني بكاء ، وديار بني كلاب ، وديار غطفان ، وهذه كلها دلائل لتقسيم القبائل.

كان لكل قبيلة مسجدها الخاص إن لم نقل لكل بطن كمسجد السهلة (25) ، ومسجد جذيمة ينسب إلى جذيمة بن مالك بن نصر بن قعين من بني أسد ، ومسجد سِمَاك: منسوب إلى سِمَاك بن مَخْرَمَةَ بن حُمَيْن بن ثَلث الأسدي (26) ومسجد بني أيوب (27) ومسجد الحمراء (28) وحتى المقابر التي كان يطلق عليها اسم الجبانة تم تسميتها

وتضاف إلى القبائل : كجَبَّانة سالم تنسب إلى سالم بن عمارة ، وجبانة كندمة المشهورة ، وجبانة عرزم (29) و اطلقوا على الأسواق أيضاً أسماء تعرف بها فقد ذكر البلاذري سوق يوسف سمي على يوسف ابن عمر وهو عامل هشام على العراق ، و الحمامات أيضاً كانت لها تسميتها منها حمام أعين نسبة أعين مولى سعد بن أبي وقاص ، وحمام عَمَر نسبة لعمر بن سعد بن أبي وقاص (30) .

ومما يلاحظ عن هذه القبائل التي استوطنت الكوفة أنها أصبحت جزءاً لا يتجزأ من حياتها ونحن لا نوافق المستشرق كارل بروكلمان قوله أن الكوفة مستعمرة عسكرية (31) ، لأنها بالفعل أصبحت مدينة تنعم بكل ما يعرف به من معنى لهذه الكلمة وخاصة بعد بناء بيوتها من اللبن والأجر فهذا دليل على استقرارهم ، فلم يعد الأمر مجرد تمركز للجنود فقد أصبح يطلق عليهم أزد الكوفة ، وتميم الكوفة (32) فهذا نراه أيضاً دليلاً على تأقلم هؤلاء الجنود وتمدُّنهم .

عرفت الكوفة أحداثاً حساسة هامة وساخنة ولم تكد تتوقف فيها الفتن كما تداول عليها عدداً كبيراً من الولاة بسبب سكانها الذين كانوا كل مرة يجدون سبباً لعزل واليهم ، وهذا نا انعكس سلباً على الحالة الاجتماعية التي وصلت إليها بسبب كثرة الولاة وتحكم الخلفاء فيهم ، وضعف الخلفاء الأمويين واستهتارهم بالمسؤولية الموضوعة على عاتقهم ، وربما هذا كان وراء بروز الظواهر الاجتماعية من انتشار المجون والفسق و القينات خاصة في العهد المتأخر لبني أمية ، وظهور دور المجون ، وأيضاً تحليلهم الخمر وإباحتهم له ضاربين بذلك عرض الحائط آيات تحريمه ، بل وصل بهم الأمر الى حد اطلاق عليه اسم نهر جالوت. (33)

فقد ذكر الجاحظ بأن الخلفاء الأمويين كان يشربون الخمر ويسكرون حتى أن الوليد (125 – 126 هـ / 743 – 744 م) ويزيد بن الوليد (126 - 127 هـ / 744 - 744 م) يدمنان على الخمر واللهو ، (34) وسليمان بن عبد الملك (54-94 هـ / 674 - 717) كان يشرب كل ثلاثة أيام ، أما الوليد بن عبد الملك (125 – 126 هـ / 743 – 744 م) كان يشرب يوماً ويدع يوماً ، وما اقترفه الوالي الوليد بن عقبة كان أعظم فقد شرب الخمر وصلى بالمسلمين الفجر أربع ركعات وهو سكران وإن عُزل بعدها إلا أنه خطب عظيم (35) ، ولم يسلم منهم إلا الخليفة عُمر بن عبد العزيز (99 – 101 هـ / 717 - 720 م) الذي لم يشرب منذ تولى الخلافة (36) فإذا كان هذا حال الخلفاء فكيف هو حال العامة ؟

فقد ذكر الأصفهاني حكايات كثيرة حول الكوفيين ، منهم من لا يملك قوت يومه وعندما يزوره صديق له يبيع خُفَّيه ليشتري له طعامًا وخمرًا ، وآخر ينزل عنده ضيوف يذبح لهم ويسقيهم الخمر ثلاثة أيام ثم يسألهم حاجتهم ، فقد اعتبروا أن من إكرام الضيف شراء الخمر ، وآخر يشرب كأسًا من الخمر على قبر صاحبه ويسكب له كوبًا على قبره ، كما كانوا يقدمونها كهدية لبعضهم البعض ، وهذا دليل على انتشار الخمر والأهمية الكبيرة التي أعطوها لها وربما يرجع السبب الى لطيفنا باذ(35)

كما ذكر المسعودي قصصًا كثيرة حول بيع وشراء الخمر في الأسواق وهو ما يبين أنها كانت تجارة متداولة وغير محظور بيعها في الأسواق ، فقد كانت الجارية تذهب لشرائها من السوق واقتنائها كما تشتري أي طعام . وأيضا مما تغير عند سكان الكوفة هو اللباس الفارسي الذي انتشر في الكوفة ، ولم يعد الأمر خاصًا بالفرس فقط بل تعدى الى العديد من السكان الذين تخلوا عن لباسهم و ارتدوا اللباس الفارسي .(37)

ومن الظواهر الاجتماعية التي ظهرت بالكوفة أيضاً سبّ الصحابة وشتمهم على المنابر ، فقد كان معاوية وعُماله يدعون للخليفة عثمان بن عفان ويسبون عليه ويقعون فيه ، ولما كان المغيرة متولياً للكوفة فعل ذلك طاعةً لمعاوية (38)، وتواصلت هذه الظاهرة الغريبة و المنافية لأخلاق المسلمين وخاصةً أنها لم تمر إلا فترة قصيرة على وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فكيف تظهر مثل هذه التصرفات المشينة والمسيئة للإسلام ؟ وذكر أبو الفدا أن الحسن بن علي بن أبي طالب اشترط على معاوية شروطاً كان من بينها الكف عن سبّ علي لكنه لم يجبه إلى ذلك ، وكان الخلفاء يسبون علياً منذ أن تخلى الحسن على الخلافة لسنة احدى و أربعين الى سنة تسع وتسعين في خلافة عمر ابن عبد العزيز الذي أمر بتوقف سبّ علي على المنابر . (39)

و نخلص في الأخير أن الكوفة كانت مقسمة إلى قبائل وكل قبيلة لها جميع مستلزمات الحياة الخاصة بها وعاداتها وتقاليدها ، وهذا ما جعل الكوفة مجتمع قبلي يسوده التنافس والعصبية القبلية ، وكانت هذه القبائل متصارعة فيما بينها حتى عهد ابن مروان اخر خلفاء بني امية بحيث يذكر الطبري أنه اشربت الفتنة ووقعت العصبية بين الناس (40)، ومن الطبيعي أن تقع العصبية بين السكان ، لأن كل قبيلة كانت منعزلة عن الأخرى ولم تندمج هذه القبائل مع بعضها البعض فقد اتخذت كل قبيلة لنفسها مستلزمات معيشتها ، مما أثار العصبية والفتنة بينهم.

2- الحياة الاقتصادية :

بعد استقرار الجنود في الكوفة وبناء منازلهم ، وأصبح توفير غذائهم أمراً ضرورياً ، وبما أن الكوفة كانت على مقربة من نهر الفرات وبالتالي تفرغت عدة أنهار منه وأصبح لكل قبيلة من قبائلها عين ، فقد ذُكِرَ العُدَيْبُ وَفِرْدَوْسُ وَهُمَا مَاءٌ لِبَنِي تَمِيمٍ عَنِ مَرْحَلَةٍ مِنَ الْكُوفَةِ (41) وبسواد الكوفة موضعٌ يقال له مَلَجٌ ، وقال السَّكْرِيُّ : مَعْلَجٌ : وهو ماءٌ لبني العَدَوِيَّةِ (42) كما ذُكِرَ الْحَفَائِرُ : وهو ماءٌ لبني قُرَيْطٍ على يسارِ حَاجِ الْكُوفَةِ (43) ، الْهَجِيرُ : وهو ماءٌ ، وفي التكملة : ماءٌ لبني عَجَلٍ بن لُجَيْمٍ ، بين الكوفة والبصرة (44) ، وَبُرْقَةُ ذِي قَارٍ وَذُو قَارٍ : ماءٌ لِبَكْرِ بْنِ وَائِلٍ قُرْبَ الْكُوفَةِ (45) ، وقال السُّهَيْلِيُّ : بِالْفَرْعِ عَيْنَانِ ، يُقَالُ لِإِحْدَاهُمَا الْغَرِيضُ ، وَلِلْأُخْرَى النَّجْفُ ، يَسْقِيَانِ عَشْرِينَ أَلْفَ نَخْلَةٍ ، وهو بظُهرِ الْكُوفَةِ كَالْمُسْتَاةِ (46).

وبتوفر المياه توجه سكان الكوفة إلى الزراعة و انتاج احتياجاتهم ، فكانت تُنتِج أجود التمور وألذها ، منها الْيُزْسِيَانُ (47) وهو مما تفاخر به أهل البصرة على أهل الكوفة ، فذكر أهل البصرة أنه ليس عندهم منه حبة ، ومن أجودُ ثَمَرِهَا أيضا الْهَيَزُونُ (48) و الْأَزَادُ وهو رَطْبُ (49) و قَسْبِ عَنَبٍ (50) و الْمُشَانُ (51) و السَّابِرِيُّ (52) ذكر ابن الفقيه أن الكوفة تأتيتهم ثمارهم لم تُخْضَدَ أَرَادَ أَنَّهَا تَأْتِيهِمْ بِطَرَاءَتِهَا لَمْ يَصْبِهَا دُبُولٌ وَلَا انْعِصَارٌ لِأَنَّهَا تَحْمَلُ فِي الْأَنْهَارِ الْجَارِيَةِ فَتَوَدِّيهِهَا إِلَيْهِمْ (53)

وتوفر التمر وإنتاجه بكثرة لتوفر الماء سيؤدي بدون شك إلى بيعه والتجارة به ، فقد ذكرنا فيما سبق أنه كان تقريباً لكل قبيلة سوق للبيع والشراء ، كسوق أسد المنسوب إلى أسد بن عبد الله القسري ، وسوق يوسف بالحيرة المنسوب ليوسف لعمر بن محمد ابن عم الحجاج بن يوسف (54) مما يؤدي للتجارة به خارج الكوفة فقد ذكرنا أن البصرة لا تتوفر على هذه الأنواع من التمور ، كما ذكر المسعودي حكاية رجل من الكوفة كان يبيع الرمان في سوق الكناسة (55) وسوق حكمة (56) وسوق كندة (57)

ومما أثار انتباهنا أيضاً قول المسعودي ماه الْكُوفَةِ وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّ مَالَهَا كَانَ يُحْمَلُ فِي أَغْطِيَاتِ أَهْلِ الْكُوفَةِ (58) وهذا يعني أن الماء كان يباع في الكوفة وما كان يجمع من مال يرسل إلى دار الخلافة .

أنشأ زياد بن أبيه جسراً يمنع طغيان الماء على الكوفة مما ساعد على استغلال أراضي كانت تعطل فترة من السنة نتيجة فيضان الماء عليها ، وينتظر حتى تنتهي فترة الفيضان

، وتجف الأرض حتى يمكن إعادة زراعتها مرة أخرى ، كما أعطى هذا المشروع فرصة إدخال زراعة النباتات المعمرة إلى تلك الأراضي بدلاً من اقتصار الزراعة فيها على المحاصيل الموسمية ، ونظراً لأهمية هذا الجسر ظل الولاة يتعاهدونه طيلة فترة العصر الأموي .(59)

لكن بعض الخلفاء الأمويين عملوا على إرهاب المزارعين بالضرائب ، فكثرت الضرائب وتنوعت ، واشتد الأمر على أهل الأرض فهجروها ، فأضر ذلك بمالية الدولة ، ولقد لجئوا إلى أساليب القوة في الجباية فاضطر المزارعون إلى بيع دوابهم أو كسوتهم لتسديد ما عليهم ، وحتى حديثي العهد بالاستلام كانت تفرض عليهم الجزية ضئلاً منهم أنهم أسلموا هروباً من دفع الجزية ، والهدف هو ملئ الخزينة بكل الوسائل المشروعة وغير المشروعة ، لكن تغير كل هذا في خلافة عمر ابن عبد العزيز فقد عمل على أحياء السنن وقطع البدع والجد في إقامة الدين والإصافة في الرأي والعلم بما مضى من أمر الناس .(61)

وكان مروان بن الحكم قد قطع فذك وهي صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي طلبتها فاطمة ميراً فأرور أبو بكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة) (62) ولم تزل فذك في يد مروان وبنيه إلى أن تولى عمر بن عبد العزيز فانتزعها من أهله وردها صدقة .(63) بالرغم من الاصلاحات التي أنجزها عمر بن عبد العزيز في الفترة القصيرة من حكمه إلا أنه سرعان ما عاد الخلفاء الذين من بعده إلى فرض الضرائب و إرهاب العامة بغرض ملئ الخزينة ، فقد قام ولاة الخليفة المنصور بتغير الجزية التي تؤخذ عيناً بشكل جزء من المحاصيل الزراعية ، وقدرت الجزية التي تؤخذ من أهل الذمة بالعشر من أموالهم .(64)

كانت دور الضرب محدودة في الخلافة الإسلامية ، فقام الحجاج بتوسيعها ، فأقام واحدة بالكوفة ليتمكن من إعادة سك النقود القديمة ، فجلب طباعين من دور أخرى وفرض عليهم رقابة شديدة ووصل به الحال أن ختم على أيديهم ليضمن (65) صحة العيار وصفاء المعدن وكانت تفرض على ضراب الدراهم رقابة شديدة لدرجة أن الخليفة عبد الملك بن مروان كاد يقطع يد أحدهم لأنه ضرب النقود على غير سكة المسلمين (66) حتى أن عمر بن عبد العزيز عاقب أحدهم وسجنه أيضاً لأنه ضرب على غير سكة السلطان ، وذكر الزركلي أن سك النقود كان في عهد يزيد بن أبيه في فترة ولايته على الكوفة والبصرة وقال الاصمعي : أنه أول من ضرب الدنانير والدراهم ونقش عليها اسم (الله) . (67) ولما ولي عمر بن هبيرة (68) الكوفة في عهد يزيد الثاني 101 ، 105 هـ (69)

كانت النقود التي سكها أجود بكثير من التي سكها الحجاج بالكوفة وسميت على اسمه الهيرية (70) ، وتمكن خالد بن عبد الله القسري من التحكم في أمر السكة بعد تخليصها من الشوائب في عهد هشام بن عبد الملك 120/106 هـ وسميت أيضا على اسمه الخالدية ، ولما تولى يوسف بن عمر الثقفي سنة 130-136 هـ أفرط أشد الافراط في تخليص العملة من الشوائب وصغر حجمها وضربها في واسط وسميت اليوسفية (71) وكان أشد حرصاً ممن سبقه فقد قطع أيدي وعاقب بالسجن من أجل السيطرة على طباعة العملة ، حتى أن الخليفة المنصور لم يكن يقبل بغير هذه العملات في جباية الخراج ، وكان ولاية الكوفة في العهد الأموي يفتشون العملة ويراقبونها خوفاً من الغش فقد وضع رجل في السوق يسمى الناقد يقوم على مراقبة النقود الجيدة من الرديئة ويضمن وزنها. (72) وذكر الجاحظ أن النقود كانت تضرب في النيزوز عادةً في أول أيام السنة الفارسية (73) كما تم تأسيس دار الرزق وهي دار مخصصة لجمع أموال الصدقة والغنائم قبل توزيعها على الجنود ، وكانت هذه دار قد تعرضت للسرقه اثر ثقب أحدث في جداره ، فكتب سعد الى الخليفة عمر بن الخطاب واصفاً له موضع بيت المال فأجابه (أنقل المسجد حتى تضعه الى جنب الدار واجعل الدار قبلته فإن للمسجد أهلاً بالنهار والليل وفيهم حصن للمالهم). (74)

مما سبق يتضح لنا جلياً التطور الذي حدث في الكوفة منذ تأسيسها من مجرد اقامة للجنود يرتاحون فيه من الفتوحات الى اقامة دائمة لهم ، بُنيت فيه المنازل في بادئ الأمر بالطين ثم تطورت لتصبح بالأجر، بالإضافة الى المساجد والأسواق والمقابر فأصبحت تضم كل مرافق الحياة، وبعد الفتن التي ظهرت في الخلافة الاسلامية عرفت الكوفة آفات اجتماعية كسب الصحابة وكشرب الخمر، كما نشطت بها التجارة والصناعة، وأسست بها دور لضرب النقود، كما تعرضت الكوفة لتعسف الولاة الذين أرهقوا السكان بالضرائب.

الهوامش :

- 1- كانت في بدايتها يقصد بها مناصرة علي بن ابي طالب ، ثم تحولت الى تفضيل علي بن ابي طالب على ابو بكر وعمر بن الخطاب رضي الله عنهم جميعا .
- 2- جاء ثلاثة وفود من مصر والكوفة والبصرة إلى الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، والتقى بهم وتناقشوا مع البعض واتفقوا وعاد كل وفد غير أن أشخاص لم يعجبهم هذا الاتفاق قاموا بتزوير ختم

- عثمان بن عفان وكتبوا رسائل إلى الوفود عليها الختم المزور بقتلهم وصلبهم ، فعادت الوفود الثلاثة ولم تقتنع بكل ما قيل لها وقررت محاصرة عثمان بن عفان ، بحيث دام الحصار مابين شهر إلى أربعين يوماً ، وقد رفض عثمان بن عفان من الصحابة حمايته ، وفي اليوم الذي قتل فيه كان صائناً وهو حاملاً لمصحفه في الجمعة 18 من ذي الحجة سنة 35هـ ، وذهبت الوفود بعد ذلك إلى علي وباعوه خليفه لهم وتمت المبايعه و تأخر علي بالتأثر من قتلة عثمان مما أدى الى ثورة الناس وخروج طلحة والزبير وعائشة الى البصرة للقاء علي والتحدث إليه انتهى اللقاء بموقعة الجمل وموت عدد كبير من المسلمين من الطرفين أنظر : البداية والنهاية ، الطبري ج 7 ، ص 197 ، السيوطي ، تاريخ الخلفاء ، ج 1 ، ص 66.
- 3- القادسية : بينها وبين الكوفة خمسة عشر فرسخاً ، و يقول المدايني : كانت القادسية تسمى قديساً ، وقال ابن عمرو القادسية هي السفينة العظيمة ، كانت وقعة القادسية في محرم من السنة 14هـ حسب ما ذكره الطبري بين المسلمين والفرس بينما ذكر ياقوت الحموي انها وقعت 16هـ ، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج 3 ، ص 353 . والمدائن هي عبارة عن سبعة مدن كانت للأكاسرة الفرس ، ياقوت الحموي ، المصدر نفسه ، ج 2 ، ص 232.
- 4- أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري ، فتوح البلدان ، ج 1 ، دار مكتبة الهلال ، 1988 ، بيروت ، ص 184.
- 5- الأنبار : مدينة معروفة ، وهي حد فارس . وإنما بهذا الاسم تشبهاً لها ببيت التاجر ، الذي ينضد فيه متاعه ، وهي الأنبار ، وقيل الأنابير بالفارسية : الأهراء ، سميت بذلك لأن أهراء الملك كانت فيها ، ومنها كان يرزق رجاله ، وقال ابن الكلبي في تحديد العراق : هو ما بين الحيرة و الأنبار . أبو عبيد البكري ، معجم ما استعجم ، ج 1 ، تحقيق : مصطفى السقا ، عالم الكتب ، 2009 ، بيروت ، ص 58.
- 6- الكوفة : ذكر البلاذري أقوال مختلفة لتسمية الكوفة فهناك من يقول : المواقع المستديرة من الرمل تسمى الكوفاني ، وبعضهم يسمى الأرض التي فيها حصباء مع الطين والرمل كوفة ، و قال الأثرم : قيل التكوف الاجتماع ، وقيل لأن العرب تسمى كل أرض فيها حصي كُوَيْفَة . البلاذري ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص 184.
- 7- اتفق على سنة 17هـ ابن خلدون وابن الجوزي وأبو الفدا وابن الاثير والبلاذري ، و ياقوت الحموي واليعقوبي ، وابن معين يقول سنة 18هـ ، وذكر الذهبي والسيوطي انها سنة 16هـ ، ذكر ابن كثير انها سنة 15هـ ، ومن مصادر الشيعة : عبد الكريم ابن طاووس ، فرحة الغري ، ط 1 ، تحقيق : محمد مهدي نجف ، دارالتعارف ، العتبة العلوية المقدسة ، 2010 ، ص 116.
- 8- البلاذري ، المصدر السابق ، ج 2 ، ص 341 ، هشام جعبيط ، نشأة المدينة العربية الاسلامية ، الكويت ، ط 1 ، 1986 ، مؤسسة الكويت ، ص 100.
- 9- أبو الحسن بن علي المسعودي ، مروج الذهب ، ط 1 ، تحقيق : كمال حسن مرعي ، ج 1 ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 2005 ، لبنان ، ص 496 ، انظر أيضاً حول ماء وهواء الكوفة : ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، ج 1 ، ص 94
- 10- ابن كثير ، الكامل في التاريخ ، ط 1 ، تحقيق ابو الفداء احمد ، دار الكتب العلمية ، 1987 ، ج 1 ، ص 481 .

- 11 - الصحن: هي ساحة وسط الدار أو الفلاة ، محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب ، ج 13، دار صابر، بيروت، ص 244.
- 12- عبد الرحمن ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ط2، تحقيق: خليل شحادة ، دار الفكر، 1988، بيروت ، ج12، ص8 الطبري ، تاريخ الطبري، ج 3 ، ص 152 .
- 13- زياد بن أبيه : وهو زياد بن عبيد الثقفي وأمه سمية وهي أمة ، أسلم في زمن الصديق ، كان يضرب به المثل في النبل والسؤدد، ولد عام الهجرة ولي البصرة والكوفة معاً، توفي سنة ثلاث وخمسين للهجرى ، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 3 ص 496 .
- 14- ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، 1993 ، ج 4، ص 491.
- 15- خالد بن عبد الله القسري: كان امير لمكة سنة 89 هـ ثم ولي سنة 106 هـ العراق على الكوفة والبصرة وعزل عنها سنة 120 هـ ، يقال بأن أمه نصرانية ، قال يحيى بن معين كان رجل سوء يقع في علي بن ابي طالب بسوء ، توفي سنة 126 هـ ، أنظر : ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، ج 3 ص 26 .
- 16- أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم، جمهرة أنساب العرب ، ط 1، تحقيق: لجنة من لعلماء ، دار الكتب العلمية ، ج1، 1983، بيروت ، ص 87 ، ص 63.
- 17- الطبري، مصدر سابق، ج 3، ص 7.
- 18- البلاذري، مصدر سابق، ج 2، ص 344 .
- 19- الطبري، مصدر سابق، ج 3، ص 152، ج 4، ص 58.
- 20- عمر بن سعد :هم ابن الصحابي سعد بن ابي وقاص وماريا بنت قيس ، ولد سنة 19 هـ في خلافة عمر ابن الخطاب ، استعمله عبيد الله بن زياد على همدان والري ، قتله المختار بن أبي عبيد مع ابنه حفص سنة 65 هـ أو بعدها كان أميراً على الجيش الذي قتل الحسين بن علي ، ابن سعد ، طبقات ابن سعد، ج 5 ، ص 167.
- 21- الطبري، المصدر السابق، ج 4، ص 199.
- 22- هشام جعيط ، الكوفة نشأة المدينة العربية الاسلامية، ط1، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت، 1986، ص 39.
- jafer khayat : trans, four Centuries of Modern Iraq ,Stephen Henr Longrigg-
-23Baghdad
P 25 ,1968
- 24 - ياقوت الحموي، مصدر سابق، ج 2، ص 97، ص 291، ج 3، ص 14.
- 25 – زكريا بن محمد بن محمود القزويني، أثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر، بيروت، ج1، ص 99.
- 26- السيد حسين بن السيد أحمد البراق، تاريخ الكوفة، تحقيق: سعيد رحيم، دار الاضواء للنشر والتوزيع، 1987، ص 19.
- 27- غريغوس ابن هارون بن توما الملطي أبوالفرج العبري، تاريخ مختصر الدول، دار الشرق، ط2، بيروت، 1992، ج 1، ص 64.

- 28- ابن الفقيه ، البلدان ، تحقيق : يوسف الهادي ، عالم الكتب ، بيروت ، ط1، 1987، م ج ، 1، ص210.
- 29- ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 4، ص 6، ج 1، ص 465، ص 189، ص 233، ص 478، ج 2، ص 440.
- 30- البلاذري، مصدر سابق ، ج 2، ص 345.
- 31- History of the islamic peoples , carl broklmann , 107 p -31
- 32- ابن قتيبة الدينوري، الامامة والسياسة ، تحقيق: علي شيري ، ط1، 1990 ، دار الاضواء للنشر، ج1، ص 178
- 33- ابن عبد ربه الاندلسي، العقد الفريد ، تحقيق: مفيد محمد قميحة، ج 3، دار الكتب العلمية، ط1، 1983،
- 34- الذهبي، سير اعلام البلاء ، تحقيق: شعيب الارنؤوط، مؤسسة الرسالة ، 1996، ج5، ص 373.
- 35- الوليد بن عقبة : هو أخو عثمان بن عفان لأمه ، أسلم يوم الفتح ، وولاه الخليفة عثمان بن عفان على الكوفة سنة 25 هـ ثم عزله اثر شربه للخمر وجلده ، توفي سنة 61 هـ ، أبو الفدا ، تاريخ أبي الفدا ، ج 1 ، ص 257 ، الطبري ، تاريخ الطبري ، ج 5 ص 538 .
- 36- لطيف زبابا ويبدو أن سبب انتشار الخمر بكثرة في الكوفة يعود لطيف زبابا وهي عجمية موضع بين الكوفة والقادسية على حافة الطريق على جادة الحاج وبينها وبين القادسية ميل فتحها المسلمون سنة 15 هـ ، كانت إقطاعا للأشعث بن قيس بن عمر بن الخطاب وكانت من أنزه المواضع محفوفة بالكروم والشجر والحانات والمعاصر وكانت أحد المواضع المقصودة للهو والبطالة. ياقوت الحموي ، معجم لبلدان ، ج 3 ، ص 180.
- 37- انظر: أبو الفرج الاصفهاني ، الاغانى ، تحقيق أحمد الشنقيطي ، دار صادر ، بيروت ، 1916 ، ج 6 ، ص 9 .
- 38- أبو الفدا، تاريخ أبي الفدا، ج 1، ص 288 ، عبد العزيز محمد نور ولي ، أثر التشيع في الروايات التاريخية في القرن الأول هجري (رسالة ماجستير) ، 1994 ، ص 371 .
- 39- تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي المقرئ ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ج 1، 1997، ص 112. أبو الفدا ، تاريخ أبي الفدا، ج 1، ص 283 . المقرئ ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، ط 1 ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا، ج 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت، 1997 ، لبنان ، ص 112.
- 40- الطبري، مصدر سابق ، ج 5 ص 601.
- 41- محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مجموعة من المحققين ، دار الهداية، ج 3 ص 331
- 42- نفسه ، ج 7 ، ص 142
- 43- نفسه ، ج 11 ، ص 66.
- 44- نفسه ، ج 14 ، ص 404

- 45 - نفسه ج 25، ص 64.
- 46 - نفسه ج 24 ، ص 389
- 47 - ابن الفقيه، البلدان ، ص 211 ، الترسيان أجود تمور الكوفة ، ابن منظور، لسان العرب ج 4 ص 340.
- 48 - ابن القيه، مصدر سابق ، ص 211. الهيرون من التمر الجيد، ابن منظور، لسان العرب ج 13، ص 413
- 49- نفسه ، ج 4 ، ص 177.
- 50- نفسه ، ج 1 ص 672. قَسْبُ عَنَبٍ : وهو القَسْبُ الشديد اليابس من كل شيء ومنه قَسْبُ التمر لِيُبْسِهِ
- 51 - أسماء أهل الكوفة بهذا الاسم لأنَّ القُرْسَ لما سمعت بأُمِّ جِرْذَان وهي نخلة كريمة صفراء البُسْرِ والتمر ويقال إن النبي صلى الله عليه وسلم دعا لها مرتين فلما جاء القُرْسُ قالوا أين مُوشان؟ والموش الجُرْذُ يريدون أُمَّ الجِرْذَان ، وسميت بذلك لان الجِرْذَان كانت تأكل من رطبها لأنها تلقطه كثيرًا ، ابو الفقيه ، البلدان ، ج 13 ، ص 408
- 52 - تاج العروس ، ج 11 ، ص 491.
- 53 - ابن الفقيه البلدان ج 3، ص 162 .
- 54 - نفسه، ص 218 ، ص 216.
- 55- المسعودي ، مروج الذهب، ج 1، ص 459.
- 56- سوق حكمة موضع بنواحي الكوفة يقال تنسب إلى حكمة بن حذيفة بن بدر وكان قد نزل عنده قال وأم حكمة هي أم فرقة التي كانت تؤلب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتلها زيد بن حارثة في بيتها ويقال نسبت إلى رجل من ولد حكمة يقال له حكم، ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج 3 ، ص 283 ، ص 284
- 57 - ابن الفقيه ، البلدان، ج 1 ص 232.
- 58 - نفسه ج 36. ص 511,55
- 59 - علي محمد محمد الصُّلَّابِيُّ، الدولة الاموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار ، ج 1 ، ص 367
- 60 - النيروز إذن بدخول فصل الحر، فمنها استقبال السنة، وافتتاح الخراج ، وتولية العمال ، والاستبدال ، وضرب الدراهم والدنانير، وتذكية بيوت النيران، وصب الماء، وتقريب القران، الجاحظ ، التاج في اخلاق الملوك، ج 1، ص 31.
- 61 - الطبري ، مصدر سابق ، ج 5 ص 321 ، ج 3 ، ص 419.
- 62 - البخاري ، صحيح البخاري ، كتاب الفرائض ، ج 12، ص 7، صحيح مسلم ، ج 7، ص 2787.
- 63 - أبو الفدا ، مصدر سابق، ج 1، ص 259.
- 64 - الماوردي، الاحكام السلطانية ، تحقيق: احمد مبارك البغدادي، ط 1989، دار ابن قتيبة ، الكويت، ج 1، ص 241.

, -65djleel kamal aldin :trans,The Economie status in the abasside cajiphate era,E.A blyae
1973,35p,Baghdad .

66 - فتوح البلدان، البلاذري، ج 3، ص 356، الموسوعة الفقهية، ج 21، وزارة الاوقاف والشؤون
الاسلامية، ص 257.

67 - البلاذري، مصدر سابق، ج 1، ص 311.

68- الزركلي، الاعلام، ج 3 ص 53.

69 - عمر بن هبيرة: بن سعد بن عدي الفزاري، أبو المثني: أمير، من الدهاة صارت الخلافة إلى عمر
بن عبد العزيز وولاه الجزيرة، فتوجه إليها، وغزا الروم، كانت اقامته بالكوفة، ثم عزله عمر بن عبد
العزيز وولى مكانه خالد القسري الذي سجنه ففر من سجن واسط، توفي سنة 110هـ، الذهبي، سير
اعلام النبلاء، ج 4، ص 562.

70 – الماوردي، مصدر سابق، ج 1، ص 163.

71 – نفسه، ج 1، ص 163.

72 - كامل سلمان الجبوري، مجلة الذخائر، العدد 1، شتاء 2000، ص 210.

73 - أبو عثمان الجاحظ، التاج في أخلاق الملوك، تحقيق: احمد زكي باشا، 1914، ج 1، ص 31.

74- الطبري، مصدر سابق، ج 3، ص 147